مجلة جامعة بني وليد للعلوم الإنسانية والتطبيقية
Bani Waleed University Journal of Humanities and Applied Sciences
تصدر عن– جامعة بني وليد – ليبيا
Website:https://jhas-bwu.com/index.php/bwjhas/index
المجلد العاشر ـ العدد الثالث ـ 2025 ـ الصفحات (548– 569)
ISSN3005-3900

Sijilmasa: The Capital of Gold and Trade Caravans During the Reign of the Banu Midrar (140 AH – 366 AH / 757 CE – 976 CE)

Dr. Naima Abdulmawla Salem Ahmed *
Department of History, Faculty of Education, University of Al-Zaytuna, Tarhuna, Libya
n.ahmed@azu.edu.ly

سجلماسة عاصمة الذهب والقوافل التجارية في عهد بني مدرار (140هـ - 366هـ / 757م – 976م)

د. نعيمة عبد المولى سالم أحمد *
قسم التاريخ، كلية التربية، جامعة الزيتونة، ترهونة، ليبيا

تاريخ الاستلام: 10-06-2025 تاريخ القبول: 15-07-2025 تاريخ النشر: 20-07-2025

Abstract:
During the reign of the Banu Midrar (140–366 AH / 757–976 CE), the city of Sijilmasa witnessed significant economic development in various aspects, particularly in trade. This study focuses on the role played by the Banu Midrar in revitalizing commercial caravan routes and organizing trade networks during their rule. It also highlights their efforts to establish extensive trade relations with the Eastern Islamic world, North Africa, al-Andalus, and Sub-Saharan Africa, with gold being one of the most prominent commodities exchanged.
The researcher adopted an analytical inductive approach to examine historical events and facts and to understand the motivations behind the imposition of taxes and customs on land and maritime trade by the Banu Midrar, which contributed to elevating Sijilmasa's global commercial status during the 2nd to 4th centuries AH (8th to 10th centuries CE).
Additionally, the researcher employed the descriptive method to trace and analyze historical developments, while also incorporating other scientific methodologies where necessary. This approach led to findings that underscore the pivotal role of the Banu Midrar Emirate in the flourishing of trade in Sijilmasa.

Keywords: Sijilmasa, Banu Midrar, gold trade, commercial caravans, Sub-Saharan Africa.

الملخص:
شهدت مدينة سجلماسة في عهد بني مدرار عام (140-366هـ / 757م-976م)، تطوراً اقتصادياً في جميع الجوانب، وخاصة الجانب التجاري، وسيتم التركيز في هذه الدراسة على دور بني مدرار في تنشيط حركة

القوافل التجارية وتنظيم طرق التجارة في عهدهم، كما أبرزت الدراسة اهتمامهم في إقامة علاقات تجارية واسعة مع دول المشرق وشمال أفريقيا والأندلس، ودول جنوب الصحراء، حيث كانت سلعة الذهب من أبرز السلع المتداولة لديهم .

اعتمدت الباحثة على المنهج الاستقرائي التحليلي لتحليل الأحداث والوقائع التاريخية، وفهم الأسباب التي دفعت بني مدرار إلى فرض الضرائب والمكوس على التجارة البرية والبحرية، مما ساهم في تعزيز مكانة سجلماسة التجارية عالمياً خلال (القرن الثاني – الرابع الهجري/ الثامن – العاشر الميلادي).

كما استخدمت الباحثة المنهج الوصفي في رصد وتحليل الأحداث التاريخية، إلى جانب توظيف مناهج علمية أخرى إذا تطلب الأمر، مما ساعد في الوصول إلى نتائج تبرز الدور المحوري الذي لعبته إمارة بني مدرار في ازدهار التجارة بسجلماسة.

الكلمات الدالة: سجلماسة ، بني مدرار، سلعة الذهب، القوافل التجارية، دول جنوب الصحراء.

المقدمة

تعتبر مدينة سجلماسة من مدن المغرب العربي، التي تقع في منطقة الواحات جنوب بلاد المغرب وشمال بلاد السودان، والتي تميزت بموقع استراتيجي هام مكنّها من أن تكون حلقة وصل بين الطرق التجارية التي ربطت مناطق المشرق العربي بمغربه، ومناطق شمال افريقيا وبلاد الأندلس ببلاد السودان الغربي (جنوب الصحراء) .

فشهدت بذلك تطوراً اقتصادياً متمثلاً في حركة القوافل التجارية المحملة بالبضائع والسلع المختلفة، وفي مقدمتها سلعتي الذهب والرقيق اللتان تمَّ جلبهما من بلاد السودان الغربي، وبفضل ملوك بني مدرار الذين اولوا اهتماماً بحركة التجارة والتجار، وخاصة في توطيد سجلماسة بعلاقات تجارية مع عدة دول ومناطق مختلفة مما أعطاها مكانة وأهمية اقتصادية عالمية، فأصبحت سجلماسة بذلك من أكبر المراكز التجارية المعروفة عالمياً في عهد بني مدرار، نتيجة لاهتمامها بحركة القوافل التجارية وحمايتها وحراسة الطرق التجارية وتوفير الأمن والأمان لها.

أسباب اختيار الموضوع :

الرغبة في الكتابة عن تاريخ المدن الإسلامية، والإمارات التي نشأت فيها والتي كان لها دوراً رائداً ومساهمة فعّالة في دفع عجلة التطور الحضاري والاقتصادي في العصر الوسيط، والمتمثلة في إمارة سجلماسة موضوع الدراسة، ورغم إسهام بعض الباحثين في الكتابة عنها، إلا أنها لا تزال تحتاج للبحث والتنقيب والتقصي أكثر للكشف عن بعض الجوانب التي أغفل عنها بعض الباحثين، وإبراز دورها الاقتصادي والحضاري في بلاد المغرب العربي .

أهمية الموضوع :

تكمن أهمية دراسة الموضوع في الآتي :

- تسليط الضوء على إمارة سجلماسة ودورها الاقتصادي في العصر الوسيط.
- التعرف على الطرق والمسالك التي تمر من خلالها القوافل التجارية، ومدى مساهمتها في الرقي بالوضع الاقتصادي في عهد بني مدرار .
- إبراز دورها التجاري الذي ساهم في المحافظة على سيادتها التجارية عالمياً في عهد بني مدرار.

مشكلة البحث :

تنبثق إشكالية الموضوع في التساؤلات الآتية :

- كيف تمكنت إمارة سجلماسة من توطيد علاقاتها التجارية مع غيرها من الدول؟ وجعلت من نفسها بؤرة التواصل التجاري في فترة العصر الوسيط؟
- ما هي السياسة التي ابتعتها إمارة سجلماسة في تدعيم مركزها التجاري الذي أهلها أن تصبح ذات سيادة تجارية عالمياً؟

حدود البحث :-

يمكن حصر حدود البحث في الآتي:
حدوده الموضوعية :- سجلماسة عاصمة الذهب والقوافل التجارية في عهد بني مدرار.
حدوده الزمنية : القرن الثاني الهجري - الرابع الهجري / القرن الثامن الميلادي - القرن العاشر الميلادي (140هـ - 366 هـ / 757م - 976م)
تساؤلات الدراسة:
تطرح هذه الدراسة مجموعة من التساؤلات وهى :
- ما الأسباب التي جعلت سجلماسة تتصدر مركز الصدارة في الجانب التجاري في عهد بني مدرار بمنطقة المغرب العربي ؟
- ما السياسة التي اتبعتها إمارة سجلماسة في توطيد علاقاتها التجارية، و توسيع نشاطها التجاري الذي مكنها أن تصبح ذات سيادة عالمية؟
- ما مدى مساهمة إمارة سجلماسة في تجارة الذهب الذي جعلها تحتل مركزاً تجارياً قوياً في عهد بني مدرار
- كيف ساهمت إمارة سجلماسة في تدعيم مركزها السياسي والعسكري عن طريق نشاطها التجاري بين الدول في تلك الفترة ؟
أهداف الدراسة :
تهدف الدراسة إلى الآتي :-
- إبراز دور إمارة سجلماسة وأمرائها في المساهمة بالتجارة وخاصة تجارة الذهب مع الدول والمناطق المجاورة لها.
- اعطاء صورة واضحة عن إمارة سجلماسة في تدعيم مركزها التجاري و ربط طرقها مع طرق تجارية مهمة ساهمت في توسيع نشاطها التجاري، و ما مدى تأثيرها على التجارة العالمية في فترة الدراسة .
الدراسات السابقة :-
تعد الدراسات السابقة الدليل المرجعي الذي يسترشد به الباحث، في الكتابة والبحث والتنقيب محاولة منه إضافة الجديد، وخاصة أنه لم تكن هناك دراسة دقيقة متخصصة حول موضوع البحث، فلهذا أعتمد الباحث في كتابة بحثه على مجموعة من المصادر أكثر من المراجع، رغم وجود بعض المؤلفات التي تحدثت عن بعض جوانب إمارة سجلماسة بشكل عام منها :
1- كتاب سوادي عبد محمد : بعنوان (دراسات في تاريخ المغرب العربي من القرن الثالث الهجري حتى القرن العاشر الهجري) الذي نشرته مطبعة جامعة البصرة سنة 1984م ، حيث أفاد الدراسة في معرفة بعض الجوانب الاقتصادية لإمارة سجلماسة من حيث الزراعة وتنشيط الحرف والصنائع المختلفة وتفعيل تجارة القوافل، إلا أنه أغفل عن ذكر معدن الذهب الذي يعد مورداً أساسياً في سجلماسة في عهد بني مدرار.
2 - كتاب محمود اسماعيل عبد الرزاق : بعنوان (الخوارج في المغرب الإسلامي، ليبيا ، تونس، الجزائر، موريتانيا) الذي نشرته مطبعة دار العودة سنة 1986م، والذي أفاد الدراسة في الحديث عن تجارة المدراريون وتداول سلعة الذهب لديهم، وحدد حركة التواصل التجاري بين شمال الصحراء وغرب أفريقيا، إلا أنه لم يذكر قيمة السلع المتداولة، ولم يتحدث عن العملة المحلية بسلجلماسة، ولم يتطرق إلى علاقة بني مدرار التجارية مع بلاد الأندلس.
تقسيمات الدراسة :-
تم تقسيم البحث إلى مقدمة وخمسة مباحث هي :
- المقدمة تم الإشارة فيها عن موقع إمارة سجلماسة ودورها في توطيد علاقاتها التجارية مع غيرها من الدول والمناطق المجاورة لها .
- أما المبحث الأول سيعطى لمحة عن مدينة سجلماسة .
- بينما المبحث الثاني سيتحدث عن النشاط الصناعي في سجلماسة ودور التشكيلة الفسيفسائية من السكان في دعم الصناعة فيها.

- أما المبحث الثالث سيتطرق بالحديث عن دور أمراء سجلماسة ومدى اهتمامهم بالنشاط الزراعي والرعوي وعلاقته بالتجارة السجلماسية
- و سيخصص المبحث الرابع لإبراز دور الضرائب والمكوس التي فرضتها إمارة سجلماسة على حركة القوافل التجارية وأثرها في تدعيم مركزها التجاري.
- وسيتطرق المبحث الخامس للحديث عن اثر التحولات الإقليمية على تجارة بني مدرار .
- ثم الخاتمة التي تتضمن ما توصلت إليه الباحثة من نتائج خلال دراستها للموضوع ، ثم التوصيات التي توصي بها الدراسة، وقائمة المصادر والمراجع التي أعتمدت عليها الباحثة في كتابة بحثها.

المبحث الأول : لمحة عن مدينة سجلماسة :

تأسست مدينة سجلماسة في عام 140هـ / 757م، وكان المكان الذي نشأت فيه هذه المدينة عبارة عن براحاً من الأرض يتجمع فيه الناس من مختلف القبائل المجاورة، يتسوقون فيه[1]، وكان يتردد على هذا المكان أعداد كبيرة من الناس وعلى رأسهم أبو القاسم سمكو بن واسول المكناسي[*] ، ولكثرة تردده عليه بدأت تتجمع حوله أقواماً من الصفرية[**] فكون معهم علاقات واتفق الطرفان على بناء هذه المدينة عام (140هـ/757م) في هذا المكان[2] .

فتمَّ تحديد مكانها في وسط الصحراء، حتى تكون في مأمن وبعيدةً عن غارات البدو والمحافظة على أموال السكان، وخاصة أن المدينة أصبحت فيما بعد مدينة ذات مركزاً تجارياً عالمي[3] .

حيث كانت تقع على فرعي وادي ملوية[4]، وهذا النهر أعطى سجلماسة قيمة اقتصادية، فصارت المياه متوفرة طول السنة؛ لأن مياهه كانت تنبع من العيون لا من الأمطار، والى جانب ذلك وقوعها على طريق قديم للقوافل كان يعرف بطريق السلطان، والذي كان يربط السودان ومنطقة تافللت في الجنوب، وبين مدن الشمال[5] ، وفي هذا المكان تمَّ بناء المدينة وشيدوا بها دار للإمارة وأسواق وحمامات، وبنوا بها مسجداً[6] .

وترتب على ذلك تجمع السكان فشيدوا منازلهم حول هذه المنشآت حيث امتد بنائها حتى وصل ضفاف نهر ملوية[7]، كما قاموا ببناء سور لتحصين المدينة والمحافظة على أمن السكان.

ونتيجة لهذا الموقع الذي تميزت به والاهتمام الذي حظيت به من أمرائها وملوكها من حيث العمران والتشييد اكتسبت مركزاً سياسياً وتجارياً أهَّلها أن تكون عاصمة لبني مدرار فيما بعد[8] .

ولقد ظهرت بوادر التجمع السكاني حول هذه المدينة في قيام أنشطة مختلفة ، تكفل لأهل المدينة تحقيق ما يسعون إليه بشكل يلبي متطلباتهم اليومية .

فأهتموا بالنشاط الزراعي إهتماماً كبيراً، فقاموا بشق قنوات الري وحفر الخلجان على ضفاف نهر ملوية، ومد المياه من خلالها إلى مساحات واسعة[9] .

---

[1] - ابن عذاري، المراكشي ، (ت نهاية القرن 7 هـ)، البيان المعرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج/1، ط3، بإعتناء ج.س، كولان، أ.ليفي بروفنسال، الدار البيضاء للكتاب، طرابلس، تونس، 1983م، ص156.

[*] - وهو أبو القاسم سمكو بن واسول بن مصلان بن أبي نزول، كان أبوه يتحقق من حملة العلم، فأدرك التابعين، وكان صاحب ماشية وهو الذي بايع لعيسى بن يزيد وحمل قومه على طاعته فبايعوه من بعده وقاموا بأمره إلى أن هلك وانتهى أمره سنة 167هـ، وكان يتبع المذهب الأباضي الصفري، ابن خلدون، عبدالرحمن (732-808هـ) ، تاريخ ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج/6، قدم هذه الطبعة أ.د. عبادة كحيلة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2007م، ص130 وما بعدها.

[**] - وهم أقوام من أتباع المذهب الأباضي الصفري وهم الذين أيدوا أبو القاسم سمكو بن واسول أن يكون أميراً عليهم بمدينة سجلماسة، للمزيد أنظر : ابن خلدون، المصدر السابق ج/6، ص130 وما بعدها .

[2] - المصدر نفسه، والجزء والصفحة.

[3] - الاصطخري ، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد (ت أواخر النصف الأول من القرن الرابع الهجري)، مسالك الممالك، طبعة ليدن، 1927، ص39، وأنظر البكري، أبو عبيد (ت 487هـ)،المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، تحقيق دوسلان، الجزائر، 1857م، ص148 .

[4] - ابن خلدون، المصدر السابق ج/6، ص129 .

[5] - الجنحاني، الحبيب، المغرب الإسلامي، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في القرن الثالث والرابع الهجري، الدار التونسية للنشر، 1978م، ص152 .

[6] - المقدسي، محمد (ت بعد سنة 387هـ)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن، 1904م، ص231.

[7] - البكري، المسالك والممالك، مصدر سابق، ص148.

[8] - المصدر السابق، نفس الصفحة، وأنظر: الجنحاني، مرجع سابق، ص154 .

حيث شرعوا في زراعة العديد من الثمار والفواكه والحبوب وأشجار النخيل ، والقطن وغيرها من المزروعات ، ونتيجة هذا التنوع في المجال الزراعي زاد هذا الإنتاج عن حاجة السكان، فاصبح هناك فائضاً في المنتوجات المتنوعة من المحاصيل الزراعية الذي دفع سجلماسة بطبيعة الحال إلى الاهتمام بالجانب التجاري، فاهتمت بالتجارة وأصبحت من ضمن الأنشطة المهمة التي مارستها في تلك الفترة، فأصبحت تصدر الفائض من إنتاجها للمدن المجاورة لها، ودول جنوب الصحراء، ودول الشمال، فبذلك تكونت علاقات تبادل تجاري بين المغرب وبلاد السودان[10] ، مما زاد من الاهتمام بطرق القوافل التجارية لتنمية التجارة بين سجلماسة وغيرها من المناطق الأخرى[11] .

التجارة في سجلماسة :

كان لموقع سجلماسة المحوري الذي ربط بين مختلف أجزاء الشمال الأفريقي وبينها وبين مناطق جنوب الصحراء، فضلاً على المشرق الإسلامي وأفريقيا في رواج التجارة وتقدمها في تلك الفترة[12] .

ونتيجة لتنوع البضائع المتبادلة بين هذه المناطق، وتمركز عدد من التجار الوافدين عليها من كل الجهات، والتشكيلة السكانية التي احتضنتها سجلماسة من عدة قبائل والتي منها، السكان الأصليين بالمنطقة ويتكون من ثلاثة مجموعات متمثلة في (زناتة[*]، صنهاجة[**]، مصمودة[***]) إضافة إلى قبائل بني هلال بني المعقل[13] وكذلك الأندلسيون والأفارقة، وإلى جانب ذلك أهل الذمة، وقال عنهم اليعقوبي بأن : "أهل سجلماسة أخلاط"[14] .

ونتيجة لهذا التمازج السكاني الذي ترتب عليه نسيج اجتماعي ساهم مساهمة فعالة في النهوض بالجانب الاقتصادي - خاصة التجاري منه- والتنوع الثقافي والحضاري، كما تمَّ سك العملة والاهتمام بالصناعة وخاصة الصناعات الصوفية، والمنسوجات القطنية، وخاصة أن سجلماسة تستورد القطن الاشبيلي المعروف بجودته العالية من الأندلس[15] .

وفي حقيقة الأمر، إن هذه التشكيلة الفسيفسائية من السكان التي استطاعت التأقلم والتواصل فيما بينها في هذه المنطقة، كان لها أثراً عظيماً في خلق انسجام فكري ثقافي وتجاري بين أفرادها، مكنها من أن تكون عاصمة الذهب والقوافل التجارية في عهد بني مدرار[16] .

كما كان للقيادة الحكيمة التي حكمت هذه المدينة والمتمثلة في شخصية أبو القاسم سمكو بن واسط المدراري الصفري، في خلق نواة الدويلة الخارجية سجلماسة سنة (140هـ - 757م) ، والذي عين عيسى ابن يزيد الأسود كأول حاكم للمدينة[17]، وهي تعتبر شخصية إفريقية .

---

[9] - ابن الخطيب، أبي عبدالله محمد بن عبدالله بن سعيد الغرناطي الأندلسي، لسان الدين بن الخطيب، (ت 776هـ)، أعمال الأعلام فيمن بويع من قبل الإحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام، ج/2، تحقيق: سيد كسروي حسن، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، 2003م، ص352 .

[10] - الجنحاني، الحبيب، نظام ملكية الأرض في المغرب الإسلامي، مجلة المؤرخ العربي، العدد 23، بغداد ، 1983 ، ص30.

[11] - عبدالرزاق، محمود إسماعيل، الخوارج في المغرب الإسلامي (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، موريتانيا)، دار العودة، بيروت، 1976م، ص210 .

[12] - بوفيل، رون هاليت، تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، ترجمة الهادي أبو لقمة، ومحمد عزيز، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1988م، ص130.

[*] - زناتة: وهم من القبائل العربية التي تنسب لقبائل البربر، وكانت لغتم بربرية وسكنوا الخيام، واتخذوا من الإبل والخيل وسائل للنقل، وكان موطنهم بإفريقية والمغرب وانتشروا في عدة مناطق، فمنهم من سكن بغدامس ومنطقة السوس الأقصى، ومنهم من سكن بجبال طرابلس وبجبل أوراس، وخضعوا لحكم الهلاليين، ويعرف موطنهم بوطن زناتة، وامتدت سيطرتهم على معظم مناطق المغرب العربي، للمزيد من المعلومات أنظر : ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج/7، مصدر سابق، ص2 وما بعدها .

[**] - صنهاجة: ويرجع نسبهم إلى ولد صنهاج من بطون البرانس من ولد برنس بن بر، وذكر ابن الكلبي والطبري حسب رواية ابن خلدون أنهم وكتامة جميعاً يرجع أصلهم إلى حمير، وبطون صنهاجة كثيرة منها بلكانة وأنجفة وسرطة، والأمتونة وسوقة وكدالة ومندسة وبنو وارث وبنو ثين، وبطونهم تنتهي إلى سبعين بطناً، وتنتشر بطونهم ما بين المغرب الأوسط وأفريقيا، للمزيد أنظر : ابن خلدون، ج/6، مصدر سابق، ص102 وما بعدها.

[***] - مصمودة: وهم من ولد مصمود بن يونس، وهم من أكثر قبائل البربر وأوفرهم، ومن بطونهم برغواطة وغمارة وأهل جبل درن، وكانت قبيلة برغواطة من أكثر قبائلهم شهرة قبل الإسلام، ثم أصبحت قبائل مصامدة جبل درن من أشهر قبائل مصمودة بعد الإسلام، وكونوا دول في منطقة المغرب العربي، للمزيد أنظر: ابن خلدون، مصدر سابق، ج/6، ص206 وما بعدها.

[13] - ابن خلدون، ج/6، مصدر سابق، ص12 وما بعدها، ص 58 وما بعدها.

[14] - اليعقوبي، أحمد (ت 484هـ) ، كتاب البلدان، طبعة ليدن، 1892م، ص359.

[15] - الحميري، محمد بن عبدالمنعم (ت 900هـ)، الروض المعطار في خبر الأقطار، ط2، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، 1980، ص59 .

[16] - البكري، المسالك والممالك، مصدر سابق، ص151.

وإن كل من في سجلماسة باختلاف اجناسهم كانوا راضيين عن تعيينه كحاكم على سجلماسة ، لما كان يتمتع به من مقومات تؤهله أن يكون حاكماً عليهم .

فتمكنت هذه الشخصية من خلق توازن طبيعي اجتماعي، نتج عنه استقراراً سياسياً واقتصادياً متمثلاً في ثلاث مستويات أساسية وهي :

المستوى الأول : الاستغلال المكثف للأراضي الفلاحية واعتماد سقي محكم.

المستوى الثاني: تنشيط الحرف والصنائع المختلفة بسجلماسة .

المستوى الثالث: تفعيل تجارة القوافل بتحويل سجلماسة إلى محور للتواصل بين مدن العالم المتوسط، وممالك جنوب الصحراء[18].

الطرق التجارية ودورها في تكوين علاقات تجارية بين سجلماسة وغيرها من البلدان :

نشطت حركة القوافل التجارية بسجلماسة عبر شبكة من الطرق الداخلية التي ربطت سجلماسة بالمناطق المجاورة لها، وشبكة من الطرق الخارجية التي ربطتها بمناطق الشمال الساحلية ومناطق الجنوب وبلاد السودان.

ويصف البكري هذه الطرق وصفاً دقيقاً وذكر أهم ما يقع عليها من مدن وأسواق، وأهم ما يعرض بهذه الأسواق من سلع وبضائع[19].

ومن أهم هذه الطرق هي كالآتي :

1- الطريق من فاس الى سجلماسة .

2- الطريق من سجلماسة إلى أغمات .

3- الطريق من سجلماسة إلى درعة .

وكذلك هناك طريق يسمى طريق مالي وغانة، وهو الطريق الأوسط الممتد من سجلماسة ثم درعة إلى أودغست ثم النيجر[20].

ونتيجة لحركة القوافل التجارية المتواصلة عبر هذه الطرق بين مدن الشمال والجنوب والغرب، انتشر معها الإسلام انتشاراً واسعاً، وخاصة الطريق الذي يربط بين فاس وتلمسان إلى سجلماسة فآدار ثم تمبكتو ساهم مساهمةً كبيرة في نشر الإسلام عن طريق القوافل التي مرت من خلاله[21].

وغير هذه الطرق كانت هناك طرق أخرى تجارية مهدت للإسلام أن ينتشر بشكل كبير، حيث نتج عن ذلك إقامة وإنشاء مدن تجارية لعبت دوراً مهماً في خدمة الإسلام خلال العصر الوسيط[22] .

إن وقوع سجلماسة في منطقة الواحات جنوب بلاد المغرب ، شمال السودان، خوّلها أن تتصدر التجارة في هذه المناطق، وتصبح على قدر من الأهمية، وخاصة ان إنشاء وبناء سجلماسة كان في الأصل في موضع سوق[23]، وكذلك وقوعها على طريق القوافل التجارية على مشارف بلاد السودان زادها أهمية تجارية، حيث أن القوافل المغربية التي تجتاز إلى سجلماسة، وتقوم بدفع ضريبة للبربر القاطنة بأقصى سجلماسة[24]، وهذا يؤكد أن سجلماسة فرضت سيطرتها على حركة القوافل التجارية المارة من خلالها ةعن طريقها إلى المناطق الأخرى.

---

[17] - ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج/6، مصدر سابق، ص130، وانظر: محمد، سوادي عبد، الحاج، صالح عمار، دراسات في المغرب الإسلامي (الأحوال الجغرافية)، الفتوح الإسلامية، قيام الإمارات والدول، الحضارة الفكرية، الأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2004م، ص ص 69-70 .

[18] - محمد ، سوادي عبد، دراسات في تاريخ المغرب العربي من القرن الثالث الهجري حتى القرن العاشر الهجري، جامعة البصرة، بغداد، 1984م، ص127 .

[19] - البكري، المسالك والممالك، مصدر سابق، ص152 ، 155.

[20] - شلبي، أحمد، موسوعة في التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ج/6، ط4، مكتبة النهضة، القاهرة، 1983م، ص194.

[21] - السابق نفسه، والجزء والصفحة.

[22] - شلبي، أحمد، ج/6، المرجع السابق، ص194.

[23] - ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج/1، مصدر سابق، ص156.

[24] - ابن حوقل، أبي القاسم بن حوقل النصيبي، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1992م، ص65.

المبحث الثاني : النشاط الصناعي في سجلماسة أثره على الوضع الاقتصادي:

كان لانتشار الإسلام في سجلماسة أثره الواضح على التحضر والتطور وقيام الأنشطة الاقتصادية وإنشاء المدن التجارية التي زادت من أهمية مدينة سجلماسة في فترة العصر الوسيط، ومن هنا نشأت الأسواق التي كانت تُعرض فيها أهم السلع على اختلاف أنواعها، ولكثرة التداول التجاري بين المدن نتج عن ذلك تكوين منشآت صناعية تمثلت في صناعة المعادن، وذلك لوفرة المعادن بسجلماسة في المناجم والمحاجر المنتشرة بنواحيها، وخاصة الذهب والفضة، حيث كان يأتيها الذهب من بلاد السودان، ويتحدث عنه الاصطخري : "بأنه أفضل وأصفى أنواع الذهب"[25].

كما مثلت منطقة درعة المغذي الأكبر لسجلماسة بمعدن الفضة، فكان حاكمها أبو المنتصر (208هـ-253هـ/823-867م) يتقاضى خُمس معادن درعة[26]، وأيضاً كان معدن الفضة متوفراً بشكل كبير في منطقة الجبل المطل على حصن تامدولت[27].

ونتيجة لتوفر المادة الخام من المعادن المتنوعة في أرضي سجلماسة ترتب عليه توسعاً في مجال الصناعة، فتنوعت الصناعات عل اختلاف أنواعها وأشكالها حيث ازدهر النشاط الاقتصادي فيها .

وكذلك وفرة المياه بها وخصوبة التربة كانا من أهم العوامل التي ساعدت على النشاط الصناعي بسجلماسة[28].

نتج عن ذلك إنشاء مدينة صناعية تحتضن جنسيات مختلفة، ساهمت في الرقي بالنشاط الصناعي بها في تلك الفترة، حيث يقطن فيها من سكان على اختلاف جنسياتهم وديانـاتهم مارسوا فيها حرف صناعية كلاً حسب تخصصه وخبرته.

فكان يسكن المدينة عدد كبير من الجاليات اليهودية التي قامت باستغلال المناجم الموجودة في المدينة والاستفادة منها في مجال الصناعة، وكذلك وجود بعض النصارى فيها، الذين يمارسون مهنة الصناعة[29].

فتوسعت الصناعة في سجلماسة وأصبح في تنوع في الصناعات وصارت الطبقات الغنية من أهلها يهتمون بصناعة الذهب، أمثال الحجاب وغيرهم يقومون بشراء غلمان من الروم متخصصين في صناعة وصياغة الذهب فتمَّ جلبهم ليشتغلوا في صياغة الذهب وصناعة الحلي والمجوهرات لهؤلاء الناس ونسائهم[30].

وكذلك اهتم حكامها ورجالها بأمور هذه المدينة ، فاختطوا بها المصانع والقصور وبناء الأسوار حولها، أمثال الأمير اليسع بن أبي القاسم الذي اهتم ببناء سجلماسة وبنى حولها سورٍ عظيم[31].

ولتميز هذه المدينة بموقع استراتيجي كان دافعاً قوياً وراء اهتمام ملوكها بها، فلهذا فتحت أبوابها امام الجاليات على اختلاف وأنواعها، ووفرت لهم الأمن والاستقرار، وقام الحكام بتشجيع سكانها على الإقامة فيها، حتى يقال إن المدينة وصفت بانها كثيرة الغرباء، يقصدونها من كل حدب وصوب[32] .

وقد استوطن سجلماسة عددٍ من أهل الأندلس والسودان واليهود، والفرس والعرب المشارقة، الذين ساهموا بشكل كبير في النهوض باقتصادها نتيجة للتنوع الحرفي الذي تميزت به كل فئة من هؤلاء عن الأخرى ، وخاصة أن سكانها عبارة عن خليط من العناصر السكانية من مناطق مختلفة[33].

ونتج عن هذا الخليط من السكان في مدينة سجلماسة تنوعاً في الصناعات الحرفية المختلفة التي ساهمت في الرقي باقتصاد المدينة، ووجود مجموعة من الجاليات في المدينة ساعد على التنوع الحرفي

---

[25] - الأصطخري، مسالك الممالك، مصدر سابق، ص39 .

[26] - البكري، المسالك والممالك، مصدر سابق، ص150.

[27] - المصدر نفسه، ص167.

[28] - الحموي، شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي البغدادي، (ت626هـ)، معجم البلدان، ج/3، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ص192.

[29] - مؤلف مراكشي مجهول، (عاش خلال القرن السادس الهجري) ، الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول عبدالحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ، (د.ت) ، ص202.

[30] - اليماني، محمد بن محمد، سير الحاجب جعفر، مجلة كلية الآداب، الجامعة المصرية، المجلد الرابع، الجزء الثاني، ديسمبر 1936م، ص ص 120 ، 121

[31] - ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج/6، مصدر سابق، ص ص 130 ، 131.

[32] - المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مصدر سابق، ص231.

[33] - اليعقوبي، مصدر سابق، ص359.

والصناعي فيها، فاختص الأندلسيون في إقامة المصانع القصور[34]، كما اشتغلت طائفة من الأندلسيون واليهود بحرفة الحدادة التي صاروا يحتكرونها دون غيرهم من الطوائف الأخرى، كما انتشرت صناعات أخرى مثل قطع الحجارة وصناعة طوب البناء والحديد[35]، وصناعة النسيج التي اشتهرت بها نساء سجلماسة ، وكذلك صناعة القطن وخاصة أن سجلماسة كانت تستورد القطن الإشبيلي من الأندلس إضافة إلى إنتاجها للقطن المحلي في واحاتها[36].

كما اشتهرت سجلماسة بصناعة السكر وإنتاج النعال، وتكرير الملح الذي كان مجلوباً في بلاد السودان[37]، وكذلك اهتمت سجلماسة اهتماماً كبيراً بصناعة الحلي التي تعتمد بالدرجة الأولى على معدني الذهب والفضة، وخاصة أنها تمتلك مناجم كبيرة من الذهب ذو جودة عالية[38].

فكانت هذه الصناعة بالنسبة لها من اهم الصناعات التي عادت عليها بأرباح طائلة، حيث كان يقوم صنّاع مهرة بمثل هذه الصناعة، وكان أغلبهم من أهل الذمة ممن يقيم بسجلماسة[39].

وبتنوع المواد الخام أصبحت سجلماسة في عهد بني مدرار من الإمارات التي تميزت بصناعاتها المتنوعة، حيث مثلت تطوراً في النشاط الصناعي الذي ساهم مساهمة كبيرة في تطور نشاطها التجاري بين الدول في تلك الفترة .

المبحث الثالث : دورا أمراء سجلماسة واهتمامهم بالنشاط الزراعي والرعوي :

تعد الزراعة من الأنشطة الاقتصادية المهمة في أي دولة من الدول، لأنها أحد الركائز الأساسية التي يستند عليها الاقتصاد، فلذلك اهتم أمراء سجلماسة بالنشاط الزراعي اهتماماً كبيراً، فقاموا بزراعة الحبوب ومن أشهرها القمح والشعير حيث حققوا الاكتفاء الذاتي منها، وقاموا بتصدير الفائض إلى خارج الإمارة، حيث مثل أهمية في التبادل التجاري بين المغرب وبلاد السودان[40].

كما عرف أهلها زراعة الحبوب المروية في البساتين، وكذلك اهتموا بزراعة النخيل والإكثار منها على نطاق واسع[41].

وكان من امراء سجلماسة الذين أولوا اهتماماً بالمجال الزراعي، الأمير عيسى بن يزيد بن سعد المكناسي الذي ملك سجلماسة سنة 140هـ فاهتم بتقسيم المياه وتوزيعها على هيئة خلجان بقدر موزون، وأمر الناس بالإكثار من غرس أشجار النخيل[42] ، وأيضاً الأمير أبو القاسم سمعون بن يزيلان الصفري (199هـ/814م) الذي قام بتنظيم المزارع بسجلماسة وخاصة مزارع النخيل وبنائه سورٍ عليها[43].

واهتم سكان سجلماسة بزراعة المحاصيل الزراعية الأخرى، وحولوا أراضيها إلى مساحات خضراء مزروعة بالحبوب والفواكه، وتحدث عنها الإدريسي : "بأنها كثيرة الخضر والجنات"[44]. وأن المتجول في مدينة سجلماسة يرى اللون الأخضر يعم معظم أراضيها لشدة تشابك أغصان أشجارها وكثرة نخيلها[45].

وإن دلَّ هذا على شيء إنما يدل على مدى اهتمام امراء سجلماسة المدراريين بالزراعة وتوسع نطاقها على معظم أراضيها، حيث ترتب على هذا التوسع الزراعي تحقيق اكتفاءاً ذاتياً في الإنتاج وخاصة إنتاج أجود أنواع الرطب والتمور[46]، والذي كان يعتمد عليه السكان كغذاء رئيسي لهم بسجلماسة[47].

---

[34] - ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج/6، مصدر سابق، ص ص 131 ، 132، وانظر السلاوي، احمد (ت 1319هـ)، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ج/1، ط2، الدار البيضاء، بيروت، 1954م، ص181.

[35] - البكري، الجزء الخاص بذكر افريقيا والمغرب، المسالك والممالك، مصدر سابق، ص148، الإدريسي، محمد (ت(558هـ) ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج/1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د.ت)، ص25 .

[36] - الحميري، مصدر سابق، ص59 .

[37] - القلقشندي، أبو العباس أحمد، صبح الأعشى ، ج/5، قدم لهذه الطبعة أ.د. فوزي محمد أمين، الهيئة العامة لقصور الثقافة، جامعة المنصورة، مصر، 2005، ص164.

[38] - الاصطخري، مسالك الممالك، مصدر سابق، ص39 .

[39] - اليماني، سيرة الحاجب بن جعفر، مصدر سابق، ص122 .

[40] - الجنحاني، نظام ملكية الأرض في المغرب الإسلامي، مرجع سابق، ص30 .

[41] - ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج/2، مصدر سابق، ص352.

[42] - ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج/2، مصدر سابق، ص352.

[43] - المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص ص 352 ، 353.

[44] - الادريسي، مصدر سابق، ج/1، ص225.

[45] - القلقشندي، مصدر سابق، ج/5، ص164.

والجدير بالذكر، أن النشاط الزراعي الذي تميزت به سجلماسة لابد له أن يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالنشاط الرعوي الذي لا تخلُ إمارة مثل إمارة سجلماسة من ممارسة هذه الحرفة في منطقة المغرب العربي، وخاصة إنها تمتلك مناطق رعوية شاسعة صالحة للرعي متوفرة فيها مصادر مياه لورود الماشية والإبل إليها لسقايتها[48] .

وخاصة إن حرفة الرعي كانت من الحرف الأساسية التي كان يمارسها أهل سجلماسة قبل تحولهم للنشاط الزراعي، ويتجلى ذلك واضحاً في إن الأمير أبا القاسم سمكو بن واسول (155-167هـ) كان ينتجع موضع سجلماسة بمواشيه[49].

وهذا يشير إلى أن المنطقة رعوية صالحة لتربية المواشي، وهي محاطة بالسهول التي شكلت مراعي للإبل فيها[50]، كما ان سجلماسة كانت تتميز بأغنامها ذات الأصواف الجيدة.

وهذا التنوع الزراعي والرعوي والصناعي، جعل إمارة سجلماسة تحقق الاكتفاء الذاتي لمجتمعها الصغير، الذي كبر شيئاً فشيئاً نتيجة لما حققه من ثرواتٍ وأموال طائلة، فاهتمت بتوسيع نشاطها التجاري، مما أكسبها مكانة مرموقة بين الإمارات الإسلامية في تلك الفترة .

وفي حقيقة الأمر، إن ما امتلكته سجلماسة وما حققته من خيرات دفعها إلى أن تهتم بحركة القوافل التجارية بينها وبين دول المغرب العربي ودول ما وراء الصحراء لترويج بضائعها وكسب أموالاً طائلة، وتصدرها منصباً تجارياً هاماً .

المبحث الرابع : الضرائب والمكوس ودورها في تدعيم مركز سجلماسة التجاري :

والى جانب كل ما ذكر تتميز سجلماسة بمركزٍ حساس، حيث تقع في مفترق الطرق التجارية[51]، الموجودة في بلاد المغرب العربي ، فعن طريق سجلماسة يستطيع التاجر وغير التاجر الدخول إلى بلاد السودان[52]، وأيضاً كانت قريبة من جهة غانا فتحتاج المسافة بينهما مسيرة شهرين[53]، وكذلك تتصل بمدينة فاس من جهة الشمال، كما ترتبط بمدينتي تاهرت والقيروان بطرق للقوافل التجارية[54].

وبإلتقاء هذه الطرق عند مركز سجلماسة خلق تنوعاً في المجال التجاري، ونقل البضائع والسلع المختلفة من بلد إلى بلد آخر[55].

والجدير بالذكر؛ إن إلتقاء القوافل التجارية المحملة بالبضائع والسلع المتنوعة ترتب عليه تنوعاً في الثقافات والأفكار المختلفة التي نتج عنها طابعاً فكرياً جديداً يحمل مفاهيم من مجتمعات مختلفة، وخاصة بين العرب في الشمال (بلاد المغرب العربي) وبين أهل السودان في الجنوب (دول جنوب الصحراء)، وأيضاً وجود طرق القوافل التجارية السودانية وغانا وارتباطها بطرق سجلماسة جعلها تكتسب ثروات طائلة بسبب تجارة الذهب مع هذه الدول[56]، فأصبحت من الإمارات الغنية والثرية وانعكس ذلك على التوسع في إنتاج المزروعات والمحاصيل، والعمران، والأبنية التي كانت شبيهة بأبينة الكوفة[57].

فأعطت هذه الميزة الاقتصادية لإمارة سجلماسة (بني مدرار) مكانة مروقة بين الإمارات الإسلامية في تلك الفترة، فبذلك تمتعت إمارة بني مدرار بسجلماسة بمركزٍ مالي مرموق، استغلته في تدعيم وتقوية قدرتها السياسية والعسكرية، فبعد تقدم سجلماسة التجاري فرض عليها هذا المنصب من أن تصدر قانون

---

[46] - ابن حوقل، مصدر سابق، ص90.
[47] - الحموي، مصدر سابق، ج/3، ص192.
[48] - ابن حوقل، مصدر سابق، ص100 .
[49] - ابن عذاري، مصدر سابق، ج/1، ص156.
[50] - الجنحاني، المغرب الإسلامي الحياة الاقتصادية والاجتماعية، مرجع سابق، ص154.
[51] - البكري، مصدر سابق، ص ص 163-164، وانظر الحميري، مصدر سابق، ص606.
[52] - ابن بطوطة ، محمد بن إبراهيم (ت 779هـ) ، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار صادر، بيروت ، (د.ت)، ص676 .
[53] - المصدر نفسه والصفحة نفسها.
[54] - الاصطخري، مصدر سابق، ص46 .
[55] - ابن حوقل، مصدر سابق، ص90 .
[56] - الحموي، مصدر سابق، ج/3، ص192.
[57] - ابن حوقل، مصدر سابق، ص90 .

خاص بفرض الضرائب والمكوس على حركة القوافل التجارية المارة بها، من أجل الحفاظ على سيادتها التجارية بين تلك المناطق[58].

وجاءت معظم هذه الأموال من عشور التجارة، حيث جمعت سجلماسة أموالاً وثروت طائلة من خلال المكوس التي فرضتها على القوافل التجارية، الصادرة والواردة، وأيضاً العشر والخراج[59]، بما في ذلك الضرائب المفروضة على عمليات البيع والشراء، وهذه الجباية اختصت وتميزت بها سجلماسة وتفوقت بها عن غيرها من بلدان المغرب العربي أنذاك، فقدرت بنحو أربعمائة ألف دينار في عهد الأمير المعتز (321 هـ) مقارنة مع جباية بقية بلدان المغرب مجتمعة حيث بلغت ثمانمائة ألف دينار أو أكثر بقليل على مدار خمسة أيام طولاً في ثلاثة أيام عرضاً[60].

فتضاعفت بذلك أموالهم واصبحوا أكثر النسا غناً، ويشير ابن حول إلى ذلك قائلاً :"أهلها قوم سراة مياسير يباينون أهل المغرب في المنظر والمخبر"[61] ، فمن الواضح أن هذه السياسة المالية التي اتبعتها إمارة سجلماسة وتميزت بها عن غيرها من بلدان المغرب هي من أجل الحفاظ على سيادتها على حركة التجارة والقوافل التجارية وتأمين الطرق وحمايتها حتى تسير القوافل التجارية المارة والعابرة من خلالها في أمن وأمان.

مثلت حركة القوافل التجارية بين سجلماسة وبلدان المغرب وغانا مورداً مالياً للقبائل القاطنة حول طرق القوافل، حيث فرضوا عليها دفع الضرائب مقابل تأمينها وخفارتها أثناء عبورها لهذه الطرق[62].

ونتيجة لغنى سجلماسة بعد رواج حركة التجارة عندها، أصبحت العملة المتداولة لديها من الدنانير الذهبية التي نالت شهرة مالية في تلك الفترة، والتي أصبحت قابلة للتداول حتى خارج الإمارة وخاصة مع بلاد الأندلس[63]، إضافة لبلدان المغرب العربي، والسبب في رواج هذه العملة وتوسع التداول بها هو اهتمام الأمراء المدراريون بإنشاء دار لضرب العملة في سجلماسة وخاصة في عهد الأمير محمد بن الفتح بن ميمون بن مدرار (309-321هـ) لسك الدراهم الفضية والدنانير الذهبية[64].

وتوسع انتشار التداول بالعملة السلجماسية بشكل كبير حتى أصبحت الدنانير الذهبية قوية وشهيرة وعملة معترف بها خارج سجلماسة ، حيث أن التجار الذين كانوا يجلبون الرخام من قرطاجنة وتونس إلى قرطبة كانوا يتقاضون من الحاكم الأموي دنانير سلجماسية مقابل عملهم هذا[65].

ويرجع السبب في توسع انتشار العملة الذهبية السجلماسية والتداول بها بشكل كبير، ورواجها في عهد بني مدرار إلى وفرة الذهب الذي تمَّ جلبه من بلاد السودان ، حيث وثّقَ المداريون صلاتهم بشكل كبير مع بلاد التكرور وبلاد السودان الغربي[66].

وهكذا أصبحت سجلماسة تمثل همزة وصل بين بلاد المغرب والأندلس، وبلاد السودان الغربي عن طريق ارتباطها معها بطرق القوافل التجارية.

وفي حقيقة الأمر، إن المداريون عرفوا كيف يستغلوا موقع مدينتهم ويستفيدوا منه في تطوير وضعهم الاقتصادي من خلال الطريق الذي يربط بلاد غانا أرض الذهب بإمارة سجلماسة[67].

فأصبح تداول الذهب في سجلماسة أمراً طبيعياً لكثرة تعامل أهلها به، ويشير البكري إلى ذلك قالاً: "إن أهلها كانوا يتبادلونه جزافاً عداً بلا وزن لكثرته عندهم"[68].

---

58 - المصدر نفسه، ص97.
59 - المصدر نفسه، ص94.
60 - المصدر نفسه، ص99.
61 - ابن حوقل، مصدر سابق، ص90 .
62 - المصدر نفسه، ص99 .
63 - ابن عذاري، مصدر سابق، ج/2، ص231 .
64 - ابن عذاري، مصدر سابق، ج/1، ص206، ابن خلدون، مصدر سابق، ج/6، ص132، وأنظر أيضاً السلاوي، مصدر سابق، ح/1، ص182.
65 - ابن عذاري، مصدر سابق، ج/2، ص231.
66 - عبدالرزاق، محمود إسماعيل، مرجع سابق، ص210 .
67 - الحموي، مصدر سابق، ج/3، ص192 .
68 - البكري، مصدر سابق، ص151.

ومن ناحية أخرى، وطدت إمارة بني مدرار علاقاتها بالدول والممالك المجاورة لها في منطقة المغرب والسودان الغربي والأندلس.

فأصبحت تتبادل معهم السلع التجارية بمختلف أشكالها عن طريق حركة القوافل التجارية، التي تخرج من سجلماسة إلى القيروان، حيث قدرت المسافة بينهم بثمانون مرحلة[69]، وكانت تتم عملية التبادل التجاري بينهم عن طريق تبادل السلع المتنوعة بين المنطقتين ، فاستقبلت أسواق سجلماسة منتجات أفريقية وفي مقدمتها فستق مدينة قفصة[70]، وفي المقابل لاقت منتجات سجلماسة إقبالاً كبيراً عليها في أسواق القيروان ومن أشهر سلعها السكر والكمون والكراوية والأحذية[71].

ومن المؤكد أن تجار بني مدرار كانوا أهم ما ينقلونه من سلع لأسواق القيروان سلعة الذهب والرقيق، ولم يقف التبادل التجاري بين هاتين المنطقتين فحسب، بل امتد إلى مدينة فاس أيضاً، وتكونت بذلك طرق تجارة بين إمارة سجلماسة وفاس، كانت عملية التبادل التجاري تتم بطريقة منظمة ومحملة بالسلع المختلفة[72].

ومن الطبيعي ونتيجة لعملية التبادل التجاري التي كانت تتم بين سجلماسة وغيرها من المدن سواء في الشرق أو الغرب كان هناك من يطلب العلم والإقبال على التعلم[73]، وذلك لإلتقاء الثقافات التي تحمل أفكاراً مختلفة من رواد التجارة وحركة القوافل التجارية المتسمرة .

وهكذا توسع نطاق النشاط التجاري بشكل كبير في كل منطقة مرَّ بها تجار بني مدرار [74].

كما مثلت سجلماسة حلقة وصل بينها وبين بلاد المشرق الإسلامي فرسمت طريقاً تجارياً برياً، والذي امتد من البصرة إلى أرض سجلماسة[75]، وسلك التجار هذا الطريق ذهاباً وإياباً حاملين معهم بضائعهم وافكارهم وثقافاتهم المتنوعة[76].

حيث ترتب على هذا الطريق التجاري إدْرار أموالاً طائلةً على كل التجار الذين سلكوه والمدن التي مروا بها، وذلك لكثرة السلع المتبادلة بين التجار، فكانت القوافل التجارية تحمل سلع الشرق إلى الغرب، وترجع محملة بمنتجات المغرب، وسلع السودان والأندلس في صحبة أهل سجلماسة[77].

وكانت السلع متنوعة ومن أهمها : الرقيق الأسود، والخدم البيض والجواري والمرجان والعنبر والذهب والعسل والزيت، واللبّود المغربية، والسفن والحرير والسّمور[78]، ومن الطبيعي أن أهم السلع التي كان عليها إقبال شديد هما الذهب والرقيق اللذان يعتبران أهم سلع بلاد المغرب .

ولم يكتف تجار سجلماسة بتكوين علاقات تجارية برية بينهم وبين مناطق المشرق والمغرب العربي وبلاد السودان فقط، بل امتد نشاطهم التجاري إلى خارج هذه المناطق، فكونوا علاقات تجارية بحرية مع بلاد الأندلس، ساهمت بنقل البضائع والثقافات بينهما وتبادل السلع المختلفة بين البلدين (المغرب – الأندلس)، فيعد ميناء مدينة تابحريت على شواطئ البحر بالمغرب الأوسط أهم منفذ للسلع الواردة من سجلماسة، ومكان لرسو السفن ومقصد لقوافل سجلماسة وغيرها[79]، وفي نفس الوقت كانت موانئ الأندلس المتمثلة في شاطبة وتدمير ومرسى أقلة تستقبل سلع سجلماسة[80]. حيث زوّد المدراريون أسواق الأندلس بمختلف البضائع وفي مقدمتها

---

[69] - الاصطخري، مصدر سابق، ص46 .

[70] - البكري، مصدر سابق، ص47 .

[71] - عبدالرزاق، محمود إسماعيل، مرجع سابق، ص208.

[72] - ابن ابي زرع، علي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار وملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور، المغرب، 1972، ص40 .

[73] - ابن حوقل ، مصدر سابق، ص96.

[74] - محمد ، سوادي، دراسات في المغرب العربي، مرجع سابق، ص106.

[75] - قدامة بن جعفر، (337هـ)، كتاب الخراج وصناعة الكتابة، بعناية دي غوية، ليدن، 1889م، وبعناية محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد، بغداد ، 1981، ص 227، 229 .

[76] - ابن حوقل، مصدر سابق، ص99 .

[77] - المصدر السابق، ص ص 99 – 100 .

[78] - الاصطخري، مصدر سابق، ص45، وابن حوقل، مصدر سابق، ص95.

[79] - البكري، مصدر سابق، ص ص 87 ، 88 .

[80] - اليعقوبي، البلدان، مصدر سابق، ص434، البكري، مصدر سابق، ص81.

القمح والسكر والتمر والكروم[81]، كما وصلت بضائع وسلع بلاد الأندلس إلى أسواق سجلماسة وكان من أشهرها الثياب والمطرزات من الحرير والكتان والقطن الذي اشهروا به في مدينة قرطبة[82].

وبتوطيد هذه العلاقات بين سجلماسة وبلاد الأندلس، قام ملوك بني مدرار بمنح تجار الأندلس حرية التنقل والترحال إلى بلاد السودان[83].

كما كونت سجلماسة علاقات اقتصادية مع الدولة الرستمية فارتبطت مع تاهرت بطريق تجاري للقوافل التجارية، والذي بلغ طوله مسافة خمسين رحلة[84]، ومن هذا الطريق تم تبادل السلع والمنتجات ونشط التبادل التجاري تحت ظل العلاقات الودية بين الطرفين .

وبذلك مثلت سجلماسة حلقة وصل تجارية ربطت أصقاع الأرض من الشرق إلى الغرب، ومن الشمال إلى الجنوب، وبفضلها ازدهرت التجارة وتوسعت شبكة طرق القوافل التجارية التي استمرت حركتها ذهاباً وإياباً محملة بالبضائع والسلع المختلفة، وخاصة سلع الذهب والرقيق[85].

ويرجع الفضل في نشاط حركة التجارة وتجارة الذهب فيها إلى المركز التجاري، الذي تمتعت به سجلماسة في منطقة المغرب العربي والذي مكنها من التواصل مع بقية البلدان الأخرى وخاصة السودان الغربي أرض الذهب التي ساهمت بشكل كبير ومستمر في ازدهار حركة التجارة فيها .

المبحث الخامس: أثر التحولات الإقليمية على تجارة بني مدرار:

إن التحولات التي تحيط بأي إمارة أو دولة، لابد أن يؤثر على وضعها السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي؛ لأن هذه الجوانب تعتبر الركيزة الأساسية التي يعتمد عليها ضعف وقوة الدولة.

ولذلك فإن تمتع سجلماسة بموقع استراتيجي مهم في منطقة الواحات جنوب بلاد المغرب، وشمال السودان[86]، هو الذي خوّلها أن تضطلع بدور تجاري على قدرٍ من الأهمية، مما دفع بعض الإمارات والدول الأخرى أن تكوّن معها علاقات أحياناً ودية وأخرى عدائية.

ونذكر على سبيل المثال لا الحصر بعض منها: (إمارة رستم – دولة الأغالبة – دولة المرابطين) .

أولاً : علاقة بني مدرار مع إمارة بني رستم :

نشأت إمارة بني رستم في المغرب الأوسط سنة (144-336هـ/ 761-947م) على يد الأمير أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري، فهو كان أول أمرائها سنة 140 هـ على حد قول السوادي[87]، بينما يذهب السيد عبد العزيز سالم إلى أن عبدالرحمن بن رستم شرع في بناء اهرت سنة 144هـ، وأتمها في سنة 145هـ، واتخذها مكانها لإمارته[88] في ذلك الوقت.

بينما يشير الشماخي إلى أن تأسيسها كان عندما تولى بن رستم الإمامة سنة 160-162هـ[89]، ويؤكد ابن عذاري أن قيام إمارة بني رستم كان مقترناً ببناء تياهرت سنة 160هـ عاصمة بني رستم[90] .

وحسب رواية الشماخي وابن عذاري اللذان اتفقا على نفس السنة التي تأسست فيها إمارة بني رستم وهي سنة 160-162هـ، هي السنة المرجح أن تكون تأسست فيها إمارة بني سليم .

ويمكن القول، أن ما ذهب إليه السوادي والسيد عبدالعزيز سالم، في تحديد سنة 144هـ / 761م بداية إمارة بني رستم، يمكن تعليله إلى تولي آمر الجماعة الأباضية حيث وقع اختيارهم على عبدالرحمن بن رستم أن يكون أميراً لهم .

---

[81] - عبدالرزاق، مرجع سابق ص ص 208-209.

[82] - الحميري، مصدر سابق، ص59 .

[83] - عبدالرزاق، مصدر سابق، ص 209.

[84] - الاصطخري، مصدر سابق، ص46 .

[85] - المصدر السابق، ص45 .

[86] - الجنحاني، المغرب الإسلامي، مرجع سابق، ص152 .

[87] - عبد محمد، سوادي، الحاج، صالح عمار، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، ص81 .

[88] - سالم، السيد عبدالعزيز، تاريخ المغرب الكبير، ج/2، دار النهضة العربية ، بيروت، 1981، ص ص344 ، 345 .

[89] - الشماخي، أحمد بن سعيد بن عبدالواحد، كتاب السير ، ج/1، تحقيق: أحمد بن سعود السيابي، دار التراث العربي والثقافة، سلطنة عمان، 1987، ص124 .

[90] - ابن عذاري، البيان المعرب، ج/1، مصدر سابق، ص196 .

وهذا التحليل يقودنا إلى أن إمارة بني مدرار أقامت علاقات سياسية واقتصادية مع إمارة بني رستم، نظراً لشأتها في الفترة الزمنية ذاتها، وفي محيط جغرافي مشترك، وكانت هذه العلاقات تتسم بالهدوء في أغلب الأوقات، وربما يرجع السبب في ذلك إنهما واجهتا نفس العدو والمتمثل في الخلافة العباسية التي كانت تنظر للخوارج (الأباضية أو الصفرية) أعداء لها[91] .

وهناك سببٌ آخر، وهو أن عدد كبير من الخوارج الأباضية يقيمون في سجلماسة قد لعبوا دوراً في مناهضة أمرائها ، وأنهم كانوا موالين لرؤسائهم من مشايخ الأباضية أكثر من ولائهم لإمارتهم الأم (إمارة بني رستم) [92] ، ويبدو هذا ما دفع الرستميين لإتباع سياسة الود لكسب وقوف أبنائهم لجانبهم من أجل المحافظة على الأمن والأمان اللازمان لتوصيد العلاقات الاقتصادية بين الامارتين، وخاصة أن بني مدرار كانت مسيطرة على حركة التجارة وطرق قوافلها ببلاد المغرب الإسلامي في تلك الفترة .

ثانياً: علاقة بني مدرار بالأغالبة :

في حقيقة الأمر، إن علاقة بني مدرار بالأغالبة هي امتداد لعلاقات بغداد بسجلماسة[93] ، فدولة الأغالبة التي قامت في إفريقية سنة 184هـ/800م، كانت تدين بالولاء السياسي والتبعية الأسمية للخلافة العباسية، رغم ما تمتعت به من استقلال ذاتي، إلا أنها مثلت البقية الباقية لنفوذ الخلافة العباسية بالمغرب[94]، لعلها تتمكن فيما بعد من استرداد ملكها الذي ضاع منها في منطقة المغرب العربي، وبقيام إمارة بني مدرار واستمرارها من سنة (1440هـ 366هـ / 757 - 976م) [95]، نشأ العداء بين بيني الأغالبة وبني مدرار، إلا أن هذا العداء لم يبلغ حد التنافر والصراع بين الامارتين واكتفى كلاً منهما بالابتعاد عن الصراع والتوجه لتحقيق أهدافه المتمثلة في التوسع لتوطيد إمارته[96] .

فكان الأغالبة توسعهم جهة البحر[97]، تفادياً لحدوث الصراع بينهم وبني مدرار، وتركهم وراء ظهورهم ، بينما بني مدرار استقروا في جنوب بلاد المغرب وشمال السودان[98] .

كما كان الخلاف السياسي والمذهبي بين الإمارة الأغلبية والمدرارية شيئاً رئيسياً لإبعاد كلاً منهما عن الآخر .

ويبدو أن عداء المدراريين للأغالبة هو سببه ما تعرض له الخوارج الصفرية أتباع المذهب الصفري من تعذيب وبطش بالقيروان وإتهامهم بالمرتزقة[99]، وكذلك حرمان أبنائهم من التعليم زاد من حدة عدائهم لهم[100] .

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: هل العداء والخلاف السياسي والمذهبي أثر على الوضع الاقتصادي لكل من الإمارة الأغالبية والمدرارية أم لا ؟

سبق وأن ذكرنا ، أنه نشأ عداء بين الإمارتين، إلا أن الأغالبة كان توسعهم تجاه حوض البحر المتوسط، بينما المدراريين استقروا في جنوب بلاد المغرب بتفاللات[101] ، ولم تنشأ علاقات اقتصادية بين الطرفين .

---

[91] - الشريف، تؤدة محمد علي، العلاقات بين الحجاز وبلاد المغرب في العصر العباسي الأول 132-232هـ/750-840م، جامعة الملك عبدالعزيز، جدة، 1419هـ-1999م، ص173 ، 174 ، 175 .

[92] - محمد، سوادي، دراسات في تاريخ المغرب العربي، ص125 .

[93] - Vonderheyden. M, La berberine Orien the sous Ladynastie desbenoul ARRAB Paris , 1927 . P326.

[94] - عبدالرزاق، إسماعيل محمود، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1976، ص 128-135 .

[95] - ابن عذاري، البين المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج/1، مصدر سابق، ص156 .

[96] - إسماعيل، محمود، الأغالبة 184هـ - 296هـ سياستهم الخارجية، ط3، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، 2000، ص96 .

[97] - شرف الدين، لمياء محمد سالم، بعض ملامح أزمة أفريقية الاقتصادية في القرن الخامس للإسلام، دار الكتب الوطنية، ليبيا ، 1999م، ص92 .

[98] - السابق نفسه، ص32 .

[99] - أبو العرب، محمد أحمد بن تميم (ت 333هـ) ، طبقات علماء افريقية وتونس، ط2، تقديم وتحقيق، علي الشابي، نعيم حسين الباقي، الدار لتونسية، تونس، 1985، ص 80 ، 184 .

[100] - السابق نفسه، ص102، وانظر: عبدالرزاق، إسماعيل محمود، الخوارج في بلاد المغرب، مرجع سابق، ص132 .

[101] - شرف الدين، لماء ، مرجع سابق، ص92 .

وفي الواقع إن المعاملات التجارية كانت على نطاق ضيق بالنسبة للإمارتين، فكان اهتمام الأغالبة بتكوين علاقات اقتصادية مع دول المتوسط وخاصة المدن الإيطالية ودول الشرق الإسلامي[102]، وكانت دول المغرب والأندلس تسعى لتحقيق الاكتفاء الذاتي، غير أن هذا التوجه لدول المغرب بشكل عام ومدينة سجلماسة بشكل خاص لا يعني أنهم متخلفين اقتصادياً، لأن الإمارة المدرارية ساهمت مساهمة كبيرة في الرقي بالتجارة مع دول المغرب وبلاد الأندلس ودول جنوب الصحراء، فراجت تجارتهم مع دول غرب أفريقيا، فكانوا يصدرون الملح والنحاس والأصواف ويرجعون محملين منها بالذهب[103] .

وبذلك أصبحت سجلماسة ذات مركزٍ تجاريٍ مرموقٍ، وتمتع أهلها بالثراء العريض[104]، وكذلك اهتمام المدراريين باستصلاح الأراضي الزراعية وغرس الأشجار وخاصة النخيل، وإزدهار صناعة الغزل، وبناء المصانع والقصور[105] ، أعطاها قيمة اقتصادية جعلها تتصدر المركز الاقتصادي في المغرب العربي في عهد بني مدرار .

وبالتالي رغم تصاعد القوى السياسية بين الإمارتين، إلا أنها لم تؤثر على الاهتمام بالوضع الاقتصادي، وخاصة المدراريين الذين عاشوا في رخاء واكتفاء ذاتي داخلي الذي ارتقى وأصبح على المستوى الخارجي في فرض سيطرتهم على التجارة وحركة القوافل التجارية حتى نهاية إمارتهم عام (366هـ/976م) [106] .

ثالثاً : علاقة بني مدرار بالمرابطين :

إن ظهور المرابطين على مسرح الأحداث في منطقة المغرب العربي سنة (48-448هـ / 1056-1087م) كان هدفه إحكام السيطرة على الإمارات المستقلة، وخاصة التي كانت تسيطر على التجارة وحركة القوافل الجارية وطرقها، فكانت سجلماسة من أولى المراكز التي طبقت عليها السياسة المرابطية خططها الاستراتيجية، فأحكموا سيطرتهم على حركة القوافل والمحطات التجارية في العصر الوسيط[107] .

حيث لعبت سجلماسة دوراً محورياً وقوياً في تدعيم أركان الدولة المرابطية وتقويتها اقتصادياً، فأصبحت جزءاً لا يتجزأ من شبكة الاقتصاد المالي للمرابطين، وخاصة بعد إحكام سيطرتهم على أهم مراكز جنوب الصحراء التجارية في تمبكتو وأوداغست[108] .

والجدير بالذكر، إن وقوع سجلماسة تحت سيطرة الدولة المرابطية زاد من قوة هذه الدولة، لأن سجلماسة كانت تمثل حلقة وصل ربطت بين المراكز التجارية وطرقها، وخاصة بعد ازدهار ضرب السكة للعملات الفضية والذهبية[109] .

ويمكن القول، إن سجلماسة مثلت دعم مادي قوي ساهم في قوة المرابطين وتدعيم دولتهم اقتصادياً مكنهم من مواجهة التحديات في ذلك الوقت وذلك بسبب رواج التجارة لدى السلجماسيين رغم الظروف التي مرت بها إمارتهم .

ويبدو مما سبق عرضه، إن مدينة سجلماسة كانت تمثل بؤرة الازدهار الاقتصادي طيلة عهد بني مدرار، وإن لها دوراً مؤثراً في التحولات الإقليمية والسياسية على الإمارات والدول التي نشأت في منطقة المغرب العربي، سواء عندما كانت ذات سيادة مستقلة في عهد بني مدرار، أو اثناء وقوعها تحت سيطرة ونفوذ سياسات أخرى، مثل دولة المرابطين، حيث ساهمت في ظل المرابطين النهوض باقتصادهم ودعمه وتقويته .

---

[102] - إسماعيل محمود، الأغالبة سياستهم الخارجية، مرجع سابق، ص42 .

[103] - القلقشندي، صبح الأعشى، ج/5، مصدر سابق، ص164 .

[104] - Foumel. H, Les Berbers. Etude sur Lacomguete del' Afrigue par les Arabes. Vol 1 , 2 . paris, 1875. P362 .

[105] - القلقشندي، مصدر سابق، ج/5، ص165 .

[106] - السابق نفسه، والجزء نفسه، ص167.

[107] - القلقشندي ، مصدر سابق، ج/5، ص168 ، وأنظر: الصلابي، علي محمد محمد، الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين، دار النشر والتوزيع الإسلامية، القاهرة، 2003م، ص67 .

[108] - ذه ، رشيدة برياط، تاريخ نشأة دولة المرابطين بالمغرب، مقال مركز علم وعمران للدراسات والأبحاث وإحياء التراث الصحراوي، المملكة المغربية، 23-11-2022م.

[109] - الجنحاني، الحبيب، المجتمع العربي الإسلامي، الحياة الاقتصادية والاجتماعية، عالم المعرفة ، عدد 319، سبتمبر، 2005، ص141.

وبهذه السياسة الاستراتيجية التي أتبعتها إمارة سجلماسة في عهد بني مدرار مكنتها من دعم وتقوية مركزها السياسي والاقتصادي، وفرض سيطرتها على التجارة وحركة القوافل وطرقها طيلة حكم بني مدرار والتي استمرت حوالي قرنين من الزمان.

الخاتمة:

من خلال دراسة الموضوع توصلت الباحثة إلى النتائج الآتية:

1- قيام إمارة قوية كإمارة بني مدرار الصفرية في بلاد المغرب، دليل على قوة سياسة أمرائها ومناصرة شعبها لها إضافة إلى موقعها الجغرافي المميز الذي ساعدها على اكتساب مجدها وقوتها .

2- إن إقامة إمارة بني مدرار لعلاقات تجارية مع غيرها من الدول، كانت علاقات تبادل مصالح يغلب عليها طابع الهدوء والاستقرار، رغم وجود الخلافات فيما بينهم، وهذا يشير إلى الحنكة السياسية التي تمتع بها أمرائها من أجل المحافظة على كيان إمارتهم سياسياً واقتصادياً ومذهبياً .

3- وقوع سجلماسة على مفترق طرق القوافل التجارية وقيامها بتأمينها وحراستها أعطاها أهمية تجارية زادت من تقوية علاقاتها التجارية مع غيرها من دول المشرق الإسلامي، ودول شمال افريقيا ودول جنوب الصحراء وبلاد الأندلس، حيث جعلتها تكون من أهم امراكز التجارية وخاصة تجارة الذهب.

4- السياسة التي اتبعها ملوك وأمراء سجلماسة المدراريون في فرض الضرائب والمكوس على التجار وقوافلهم التجارية التي لابد لها أن تمر من خلالها جعلها تتمتع بمركز مالي مرموق استعملته لدعم قوتها السياسية والعسكرية.

5- إن تجارة سجلماسة مع دول الصحراء (السودان الغربي) المشهورة بتجارة الذهب، زادت من قوة العملة السجلماسية في عهد بني مدرار، التي أصبح التداول بها خارج حدودها أمرٌ مسلمٌ به، مما أكسبها شهرة عالمية بين الدول.

6- رغم التحولات الإقليمية التي واجهتها الإمارة المدرارية إلا أنها لم تؤثر على وضعها التجاري، بل حافظ عليه حتى أثناء وقوعها تحت سيطرة نفوذ دول أخرى، كالدولة المرابطية فيما بعد .

7- رغم عدم امتلاك إمارة بني مدرار بسجلماسة لمياه إقليمية مثل البحار والمحيطات التي من شأنها تمكنها من إقامة تجارة بحرية خارجية، إلا أنها تغلبت على هذا الأمر بتوسيع علاقاتها التجارية مع المدن البحرية المجاورة كبلاد الأندلس، حيث تمت من خلالها المبادلات التجارية عن طريق البحر المتوسط، والمحيط الأطلسي، التي أكسبتها مركزاً تجارياً عالمياً.

8- بما أن إمارة بني مدرار إمارة خارجية صفرية فلم يمنع هذا الأمر من نزوح أعداد غفيرة من البشر، باختلاف جنسياتهم ومذاهبهم من العيش والاستقرار على أراضي سجلماسة، وخاصة من قدم منهم من المشرق الإسلامي ودول السودان الغربي .

9- واجهت سجلماسة عدة صعوبات إلا أنها صمدت في وجهها ما يقرب بقرنين من الزمان، بفضل قوة حكامها وأمرائها المدراريين .

التوصيات :

1- نأمل من الباحثين والمهتمين بكتابة التاريخ الإسلامي ، الاهتمام أكثر والتركيز على كتابة تاريخ المدن الإسلامية في العصر الوسيط وإبراز دورها الحضاري وأثرها على تقدم العالم الإسلامي.

2- توجيه المؤسسات التعليمية لتدريس مادة التاريخ بجميع تخصصاته للطلاب والتلاميذ وتعليمهم مدى أهمية التاريخ ودراسته في حياة الشعوب لأنه بدون تاريخ لن تكون هناك حضارة لأي مجتمع من المجتمعات.

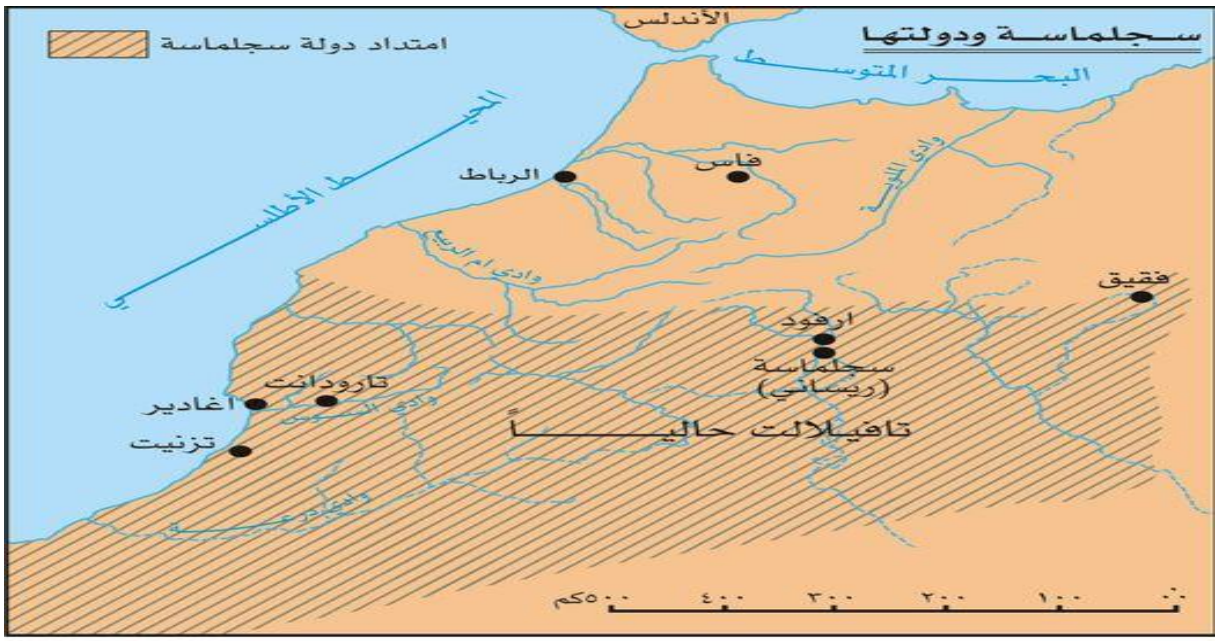
سجلماسة ودولتها
امتداد دولة سجلماسة
الأندلس
البحر المتوسط
المحيط الأطلسي
الرباط
فاس
وادي ملوية
وادي أم الربيع
فقيق
ارفود
سجلماسة (ريساني)
تافيلالت حالياً
تارودانت
اغادير
تزنيت
٠ ١٠٠ ٢٠٠ ٣٠٠ ٤٠٠ ٥٠٠كم

خريطة الإمارات المستقلة بالمغرب
البحر الأبيض المتوسط
طنجة
تطوان
العرائش
إمارة نكور
نكور
تلمسان
فاس
سلا
أزمور
الأدارسة
إمارة برغواطة
سجلماسة
إمارة بني مدرار
Maghrebhistory.com

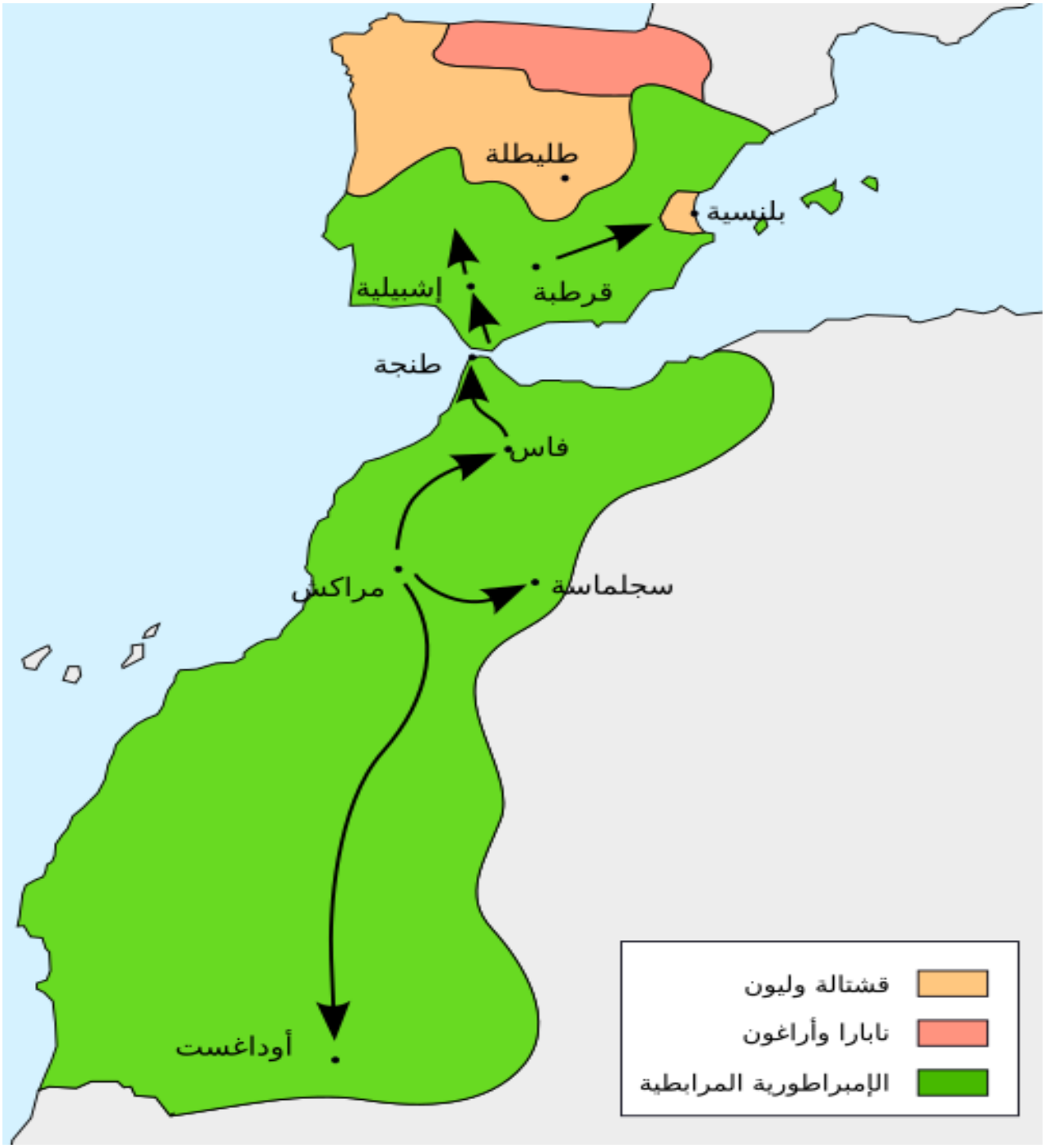

خريطة توضح التواصل التجاري بين سجلماسة وبلاد المغرب وأودغست وبلاد الأندلس

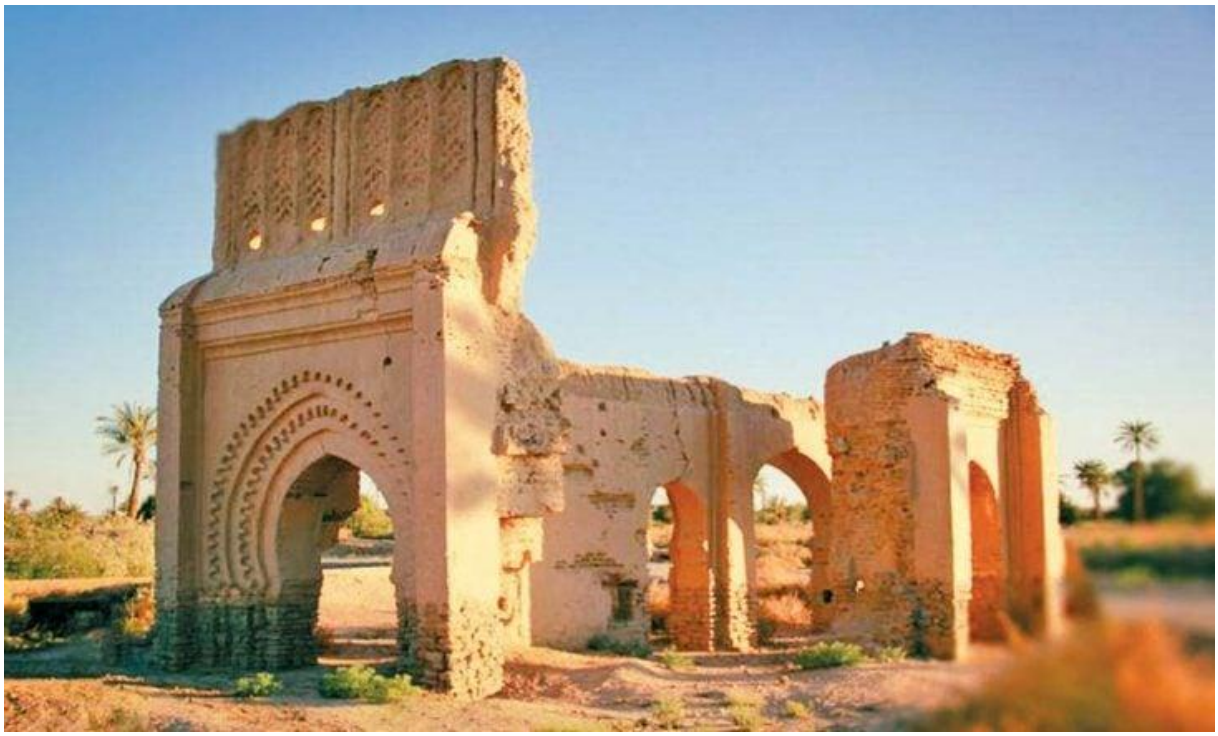

صورة لبقايا وآثار البوابة للمسجد الكبير بمدينة سجلماسة التاريخية وسط قصر المنصورية نواحي الريصاني.

أطلال سجلماسة

صورة توضح العملة الذهبية في عهد محمد بن فتح المدراري

صورة توضح بعض المسكوكات السجلماسية خلال العصر المرابطي

المصادر والمراجع:

أولاً : المصادر:

1. ابن ابي زرع، علي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار وملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور، المغرب، 1972.
2. ابن الخطيب، أبي عبدالله محمد بن عبدالله بن سعيد الغرناطي الأندلسي، لسان الدين بن الخطيب، (ت 776هـ)، أعمال الأعلام فيمن بويع من قبل الإحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام، ج/2، تحقيق: سيد كسروي حسن، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، 2003م.
3. ابن بطوطة ، محمد بن إبراهيم (ت 779هـ) ، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار صادر، بيروت ، (د.ت).
4. ابن حوقل، أبي القاسم بن حوقل النصيبي، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لنان، 1992.

5. ابن خلدون، عبدالرحمن (732-808هـ) ، تاريخ ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج/6، قده هذه الطبعة أ.د. عبادة كحيلة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2007م.

6. ابن عذاري، المراكشي ، (ت نهاية القرن 7 هـ)، البيان المعرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج/1، ط3، بإعتناء ج.س، كولان، وأوليفي، بروفنسال، الدار البيضاء للكتاب، طرابلس، تونس، 1983م.

7. أبو العرب، محمد أحمد بن تميم (ت 333هـ) ، طبقات علماء افريقية وتونس، ط2، تقديم وتحقيق، علي الشابي، نعيم حسين الباقي، الدار لتونسية، تونس، 1985.

8. الاصطخري ، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد (ت أواخر النصف الأول من القرن الرابع الهجري، مسالك الممالك، طبعة ليدن، 1927، ص39، وأنظر البكري، أبو عبيد (ت 487هـ)،المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، تحقيق دوسلان، الجزائر، 1857م.

9. البكري، الجزء الخاص بذكر افريقيا والمغرب، المسالك والممالك، مصدر سابق، ص148، الإدريسي، محمد (ت(558هـ) ، نزهة المشتاق في اخترقا الآفاق، ج/1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د.ت) .

10. الحموي، شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي البغدادي، (ت626هـ)، معجم البلدان، ج/3، دار صادر، بيروت، (د.ت) .

11. الحميري، محمد بن عبدالمنعم (ت 900هـ)، الروض المعطار في خبر الأقطار، ط2، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، 1980.

12. السلاوي، احمد (ت 1319هـ)، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ج/1، ط2، الدار البيضاء، بيروت، 1954م.

13. الشماخي، أحمد بن سعيد بن عبدالواحد، كتاب السير ، ج/1، تحقيق: أحمد بن سعود السيابي، دار التراث العربي والثقافة، سلطنة عمان، 1987.

14. قدامة بن جعفر، (337هـ)، كتاب الخراج وصناعة الكتابة، بعناية دي غوية، ليدن، 1889م، وبعناية محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد، بغداد ، 1981.

15. القلقشندي ، أبو العباس أحمد، صبح الأعشى، ج/5، قدم هذه الطبعة أ.د. فوزي محمد أمين، الهيئة العامة لقصور الثقافة، جامعة المنصورة، مصر ، 2005م.

16. المقدسي، محمد (ت بعد سنة 387هـ)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن، 1904م.

17. مؤلف مراكشي مجهول، (عاش خلال القرن السادس الهجري) ، الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول عبدالحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ، (د.ت) .

18. اليعقوبي، أحمد (ت 484هـ) ، كتاب البلدان، طبعة ليدن، 1892م.

ثانياً : المراجع :

1. إسماعيل، محمود، الأغالبة 184هـ - 296هـ سياستهم الخارجية، ط3، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، 2000.

2. بوفيل، رون هاليت، تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، ترجمة الهادي أبو لقمة، ومحمد عزيز، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1988م.

3. الجنحاني، الحبيب، المغرب الإسلامي، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في القرن الثالث والرابع الهجري، الدار التونسية للنشر، 1978م.

4. ـــــــــ، نظام ملكة الأرض في المغرب الإسلامي، مجلة المؤرخ العربي، العدد 23، بغداد ، 1983 .

5. سالم، السيد عبدالعزيز، تاريخ المغرب الكبير، ج/2، دار النهضة العربية ، بيروت، 1981.

6. شرف الدين، لمياء محمد سالم، بعض ملامح أزمة أفريقية الاقتصادية في القرن الخامس للإسلام، دار الكتب الوطنية، ليبيا ، 1999م.

7. الشريف، تؤدة محمد علي، العلاقات بين الحجاز وبلاد المغرب في العصر العباسي الأول 132-232هـ/750-840م، جامعة الملك عبدالعزيز، جدة، 1419هـ-1999م.

8. شلبي، أحمد، موسوعة في التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ج/6، ط4، مكتبة النهضة، القاهرة، 1983م.

9. عبدالرزاق، إسماعيل محمود، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1976.

10. عبدالرزاق، محمود إسماعيل، الخوارج في المغرب الاسلامي(ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، موريتانيا)، دار العودة، بيروت، 1976م.

11. محمد ، سوادي عبد، دراسات في تاريخ المغرب العربي من القرن الثالث الهجري حتى القرن العاشر الهجري، جامعة البصرة، بغداد، 1984م.

12. محمد، سوادي عبد، الحاج، صالح عمار، دراسات في المغرب الإسلامي (الأحوال الجغرافية)، الفتوح الإسلامية، قيام الإمارات والدول، الحضارة الفكرية، الأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2004م.

13. اليماني، محمد بن محمد، سير الحاجب جعفر، مجلة كلية الآداب، الجامعة المصرية، المجلد الرابع، الجزء الثاني، ديسمبر 1936م.

المراجع الأجنبية:

1- Vonderheyden. M, La berberine Orien the sous Ladynastie desbenoul ARRAB Paris , 1927 . .

2- Foumel. H, Les Berbers. Etude sur Lacomguete del' Afrigue par les Arabes. Vol 1 , 2 . paris, 1875.

الدوريات والمجلات :

1- ذه، رشيدة برياط، تاريخ نشأة دولة المرابطين بالمغرب، مقال مركز علم وعمران للدراسات والأبحاث وإحياء التراث الصحراوي، المملكة المغربية، 2022م .

- الجنحاني، الحبيب، المجتمع العربي الإسلامي، الحياة الاقتصادية والاجتماعية، عالم المعرفة ، عدد 319، سبتمبر، 2005.